مرويات الامام الحسن السبط (عليه السلام) في تفسير القران

أ.م.د علي عباس الاعرجي

كلية الاداب / جامعة القادسية

المُقدِّمَة

سبحان ذي العزّ الشامخ المنيف، سبحانَ ذي الجلال الباذخ العظيم، سبحانَ ذي الملك الفاخر القديم، سبحانَ من لبس البهجة والجمال، سبحان من تردّى بالنور والوقار، سبحانَ من يرى أثر النّمل في الصفاء، سبحانَ من يرى وقع الطير في الهواء، سبحان من هو هكذا ولا هكذا غيره، والصّلاة والسّلام على أشرف الخلق رسول الهدى النبي الأمين محمّد، وعلى آله الطّيبين الطّاهرين و صحبه المنتجبين.

وبعدُ ...

فكتاب الله العظيم مائدته الى خلقه، و(إنّ هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم إن هذا القرآن هو حبل الله والنور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسّك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الردّ فاتلوه؛ فإنّ الله تعالى يأجركم على تلاوته بكلّ حرف عشر حسنات، أمّا إنّي لا أقول آلم حرف، ولكن ألف ولام وميم ولا الفين أحدكم واضعا إحدى رجليه يدع أن يقرأ سورة البقرة؛ فإنّ الشيطان يفرّ من البيت الذي يقرأ فيه سورة البقرة، وإنّ أصفر البيوت لجوف أصفر)(كنز العمال، المتقي الهندي ١/ ٥٢٦).

والقرآن الكريم تميّز من باقي الكتب في كونه المعجزة ومصدرَ التشريع خلاف باقي الكتب السماوية، فلكلّ نبيٍّ رسالة ومعجزة إلاّ الرسول الاكرم(صلى الله عليه واله) فمعجزته عين رسالته، ورسالته عين معجزته، وهما القرآن الكريم .

وبحسبان هذا الأمر أصبحت المَهمة مضاعفة على المسلمين، بمدارسته وتدبّره، وتفسيره وتأويله، وعلى الاقل تجويد تلاوته .

وتعدّ البذرة الأولى لتفسير القرآن الكريم زمن الرسول الكريم (صلى الله عليه واله)، فهو المفسّر الاول للقرآن الكريم، ولكن أيحتاج القرآن الى تفسير وقد أنزله الله نورا وهدى وتبيانا لكلّ شيء، ونزّل ليكون بنفسه أحسن تفسيرا؟.

يقول الأستاذ معرفة:(أنزل الله الكتاب ليكون بذاته بيانا للناس عامة وتفصيلا لكلّ شيء غير أنّ بواعث الابهام أمر عارض، ولعلّه كان من طبيعة البيان القرآني جاء تشريعا للأصول والمباني، وأجمل في البيان إيكالا الى تبيين النبي(صلى الله عليه وآله) ليبيّن للناس تفاصيل ما نزّل اليهم)(التفسير والمفسرون ١/ ١٥).

قال الإمام الصادق (عليه السلام)(.... إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، نزلت عليه الصلاة ولم يسمِّ لهم ثلاثا ولا أربعا، حتى كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي فسّر لهم ذلك)(الكافي / ٢٨٦) وكفى به شاهدا.

ولكن ما ورد عنه(صلّى الله عليه واله) في التفسير قليل، وهذا ما دعا الآلوسي أن يقول(إنّ ما ورد عنه (ص) في التفسير كالكبريت الاحمر)(روح المعاني:٦/١).

لذا اتجه المسلمون إلى موردين: الأوّل: ما ورد عن الصحابة، والثاني: ما ورد عن أهل البيت الكرام، أمّا ما ورد عن الصحابة فلا يمكن الاعتداد به لسبب بسيط إنّهم متفاوتون لفهمهم القرآن الكريم واختلاف استعداداتهم وتوفيقاتهم، فمنهم من يقف عند ألفاظه وعموم خطابه، وهذا الاختلاف في مستوى الفهم والعلم قد ينتج عنه اختلاف وقصور في فهم الآيات وتفاوت في تفسيرها، فضلا عن اختلاف الصحابة في مقدار الصحبة وظروفها وبالتالي مقدار العلم الذي حملوه من رسول الله (صلى الله عليه واله)(منهج النقد في التفسير:٤٤).

مثال ذلك:(ما جاء من طريق العامّة والخاصّة إنّ قدامة بن مظعون شرب الخمر، فأراد عمر أن يحدّه، فقال له قدامة: لا يجب عليّ الحد، لأنّ الله تعالى يقول:(ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات)(فدرأ عمر عنه الحدّ ، فبلغ ذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) فمشى إلى عمر فقال له: لم تركت إقامة الحدّ على قدامة في شرب الخمر ؟ فقال : إنه تلا علي الآية : وتلاها عمر، فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام): ليس قدامة من أهل هذه الآية، ولا من سلك سبيله في ارتكاب ما حرم الله، إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات لا يستحلون حراما"، فاردد قدامة واستتبه ممّا قال، فإن تاب فأقم عليه الحدّ، وإن لم يتب فاقتله فقد خرج عن الملّة، فاستيقظ عمر لذلك، وعرف قدامة الخبر، فأظهر التوبة والاقلاع، فأدرأ عمر عنه القتل، ولم يدر كيف يحدّه، فقال لأمير المؤمنين عليه السلام: أشر علي في حدّه فقال: حده ثمانون، إنّ شارب الخمر إذا شربها سكر، وإذا سكر هذي، وإذا هذي افترى، فجلده عمر ثمانين وصار إلى قوله عليه السلام في ذلك)(بحار الأنوار- العلامة المجلسي:٧٦ /١٥٩-١٦١.

فلا يبقى إلاّ أهل البيت(عليهم السلام)؛ لأنّهم المعين الثرّ والبحر الذي لا ينضب كيف لا وقد أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وهم خلفاء الرسول(صلى الله عليه واله)، وهم حملة علمه،

ولم يثبت أو يروى عن واحد منهم تناقضا في تفسير، أو توجيه لآية قرآنية واحدة، وقد نسبت لابن عباس – وهو حبر الأمّة – أقوالا لا تقبل توفيقا ولا تسوية(مذاهب التفسير الاسلامي :١٠٤).

فأهل البيت(عليهم السلام) هم شارحو القرآن الكريم وسنّة الرسول(صلى الله عليه واله)، فبعد تطور العقلية العربية، وإسلام الكثير من الموالي الذين جلبوا معهم العلوم العقلية كالمنطق والفلسفة اليونانية ظهرت كثير من الإشكالات الفكرية والعقائدية كالجبر والتفويض، وقضية خلق القرآن؛ فكان لا بدّ من الرجوع الى النبع الصافي لحلّ هذه الاشكالات وهم أهل البيت(عليهم السلام) وكانوا بدورهم يرجعون الناس الى القرآن الكريم لحلّ كثير من هذه الإشكالات فيستدلون لهم بآي القرآن الكريم.

قمتُ بجرد الروايات في الكتب الاربعة:(الكافي، من لا يحضره الفقيه، والتهذيب والاستبصار).

فالكتاب الأوّل (الكافي) تأليف ثقة الإسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي رحمه الله المتوفّى سنة ٣٢٨ / ٣٢٩ هـ، وقمت بجرد الروايات التي تفسر النصّ القرآني في(الأصول والفروع)، وذكرها كاملة مع السند ليتسنّى الافادة منها .

والكتاب الثاني(من لا يحضره الفقيه) للشيخ الجليل الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المتوفى سنة ٣٨١هـ .

وكلا الكتابين رجعت فيهما الى تحقيق الشيخ(علي أكبر غفاري)؛ لأنّ التحقيقين علميان الى حدّ ما فضلا عن كونهما لم يحققا من أحد، بل نُشِرَا وحسب.

أمّا الكتابان الثالث والرابع فهما،(تهذيب الأحكام في شرح المقنعة) للشيخ المفيد(رحمه الله) و(الاستبصار فيما اختلف من الأخبار)، تأليف الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي المتوفى٤٦٠ هـ حققهما وعلّق عليهما السيّد حسن الموسوي الخرسان .

وكان قد وقع اختياري على هذه الكتب الاربعة؛ لأنّها الكتب التي اعتمدت لدى فقهاء الشيعة الإمامية، فعندما يطلق لفظ(الكتب الأربعة) لا ينصرف الذهن إلاّ إلى هذه الكتب، إلاّ أنّ بعضا أضاف كتابين هما(المحاسن) للبرقي، و(قرب الاسناد) للحميري وقد عزفنا عنهما لأسباب يطول المقام بذكرها.

وقد تميّز ذكر النصّ القرآني عند أهل البيت بأمور وهي أربعة أمور:

١- إنّهم يذكرون مصداقا لما يُسألون عنه في القرآن الكريم، نحو هذه الرواية(عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، وأبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار جميعا عن صفوان بن يحيى، عن طلحة النهدي، عن سورة بن كليب قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: رجل يخرج من منزله يريد المسجد أو يريد الحاجة فيلقاه رجل أو يستقفيه فيضربه ويأخذ ثوبه قال: أي شيء يقول فيه من

قبلكم ؟ قلت: يقولون هذه دغارة معلنة وإنما المحارب في قرى مشركية فقال: أيهما أعظم حرمة دار الإسلام أو دار الشرك ؟ قال : فقلت: دار الإسلام فقال: هؤلاء من أهل هذه الآية (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ)(المائدة: من الآية٣٣) إلى آخر الآية .

٢- إنّهم يُسألون عن تفسير آية من القرآن المجيد مثل هذه الرواية (- عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن ابن محبوب، عن عبد الله بن غالب، عن أبيه، عن سعيد بن المسيب قال: سألت علي بن الحسين(عليهما السلام)، عن قول الله عزوجل:(وَلَوْلا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً)(الزخرف: من الآية٣٣) قال: عنى بذلك أمة محمّد (صلى الله عليه وآله) أن يكونوا على دين واحد كفارا كلهم،(لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ)(الزخرف: من الآية٣٣) ولو فعل الله ذلك بأمة محمّد(صلّى الله عليه وآله) لحزن المؤمنون وغمهم ذلك ولم يناكحوهم ولم يوارثوهم).

٣- أو يستدلون بآية من القرآن الكريم وهو كثيرٌ عندهم نحو قوله: (أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن الحجال، عن ثعلبة، عن معمر بن عمرو، عن عطاء، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): لا كذب على مصلح، ثمّ تلا:(أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ)(يوسف: من الآية٧٠)، ثمّ قال: والله ما سرقوا وما كذب، ثمّ تلا:(بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ)(الأنبياء: من الآية٦٣)، ثمّ قال والله ما فعلوه وما كذب) .

٤-أن يقوموا هم بالسؤال، وهو نادرٌ كهذه الرواية (عن موسى بن القاسم عن محمّد عن زكريا المؤمن عن عبد الرحمن بن عتبة عن عبد الله بن سليمان الصيرفي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام لسفيان الثوري: ما تقول في قول الله عز وجل:(فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ)(البقرة: من الآية١٩٦) أيّ شيء يعني بكاملة ؟ قال: سبعة وثلاثة، قال: ويختل ذا على ذي حجا! ؟ أن سبعة وثلاثة عشرة، قال: فأي شيء هو أصلحك الله ؟ قال: انظر قال: لا علم لي فأي شيء هو أصلحك الله ؟ قال: الكامل كمالها كمال الأضحية سواء أتيت بها أو أتيت بالأضحية تمامها كمال الأضحية، ومن أقام بمكة فليحفظ مدة مسير أهل بلده إلى بلده ثم ليصم الأيام السبعة).

وقد تقدّم الروايات دراسة عن تعريف التفسير لغة واصطلاحا، وآفات التفسير بالمأثور، الذي اعتمدت فيه كتابين، ومصادرهما، الأوّل: التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب للشيخ محمّد معرفة، والثاني: منهج النقد في التفسير للدكتور الفاضل إحسان الأمين.

ولم أجد روايات تذكر للإمام الحسن (عليه السلام) في الكافي، وأمّا في الكتب الثلاثة الباقية(من لا يحضره الفقيه والتهذيب والاستبصار) وجدت روايات للإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) ، وهي ثلاث.

التّمْهيدُ

التفسير لغة*

جاء في الصحاح: الفَسَرُ البيان، واستفسرته كذا: أي سألته أن يفسّره لي، والفسر: نظر الطبيب إلى الماء[1]، والفسر كشف ما غطّي، وقال الليث: الفسر: التفسير، وهو بيان وتفصيل الكتاب، والتفسرة: اسم للبول الذي ينظر فيه الأطباء يستدلون بلونه على علة العليل، وكلّ شيء يعرف به تفسير الشيء ومعناه فهو تفسرته، وقال بعضهم: التفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل، والتأويل: ردّ أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر[2] .

فالأصل الواحد من هذه المادّة: هو شرح مع توضيح، والفرق بينهما وبين مواد الشرح، والتوضيح، والتبيين، والكشف، والتفصيل، والتأويل: هو أنّ الشرح: بسط مخصوص في موضوع في قبال القبض، والبيان: انكشاف بعد إبهام، بالتفريق والفصل، والانكشاف: زوال غطاء ورفعه عن شيء حتى يظهر، والتأويل: جعل الشيء متقدما حتى يترتب عليه شيء آخر، والتوضيح: يقابل الخمول والخفاء، والتفصيل يقابل الوصل .

فترجمة المادّة بالبيان والكشف، أوالتأويل: تعريف تقريبي، والأصل فيها هو شرح مع توضيح، ومن مصاديقه الشرح و إيضاح ما في القارورة من بول المريض[3]، وإطلاق التفسرة على القارورة نفسها تجوز، فإنها متعلّق التفسير.

قال الراغب: الفسر: إظهار المعنى المعقول[4]، وقال في موضع آخر السفر كشف الغطاء، ويختص ذلك بالأعيان نحو سفر العمامة عن الرأس والخمار عن الوجه[5].

والفسر والسفر متقاربا المعنى كما يرى الزركشي[6]؛ فهما متقاربان معنى كتقارب لفظيهما، إلاّ أنّ الفسر للمعنى المعقول والسفر لإبراز المعاني الحسية.

فالتفسير مبالغة الفسر ويدلّ على بيان وتفصيل الكتاب كما ذهب اليه صاحب العين[7]، أو كشف المغلق من المراد بلفظه وإطلاق للمحتبس عن الفهم كما نقل عن الزركشي وابن الانباري[8].

ولهذا يظهر سرّ التضعيف فهو يدلّ على الكثرة[9].

التفسير اصطلاحا

قال الطبرسي(رحمه الله):(التفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل)[10]، وعرفه الزركشي بأنه:(هو علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها والإشارات النازلة فيها، ثمّ ترتيب مكيها ومدنيها ومحكمها ومتشابهها ، وناسخها ومنسوخها ، وخاصّها وعامّها ، ومطلقها ومقيّدها ، ومجملها ومفسّرها)[11]، وقال في مفتتح كتابه:(التفسير: علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد(صلّى الله عليه وآله) وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحِكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو

والتصريف وعلم البيان، وأصول الفقه والقراءات ويحتاج إلى معرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ)[١٢] .

قال الثعالبي عبد الرحمن بن محمد:(علم يبحث عن مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية، فهو شامل لكلّ ما يتوقف عليه فهم المعنى وبيان المراد)[١٣]، أمّا الزرقاني فيعرفه بأنّه(علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية)[١٤] ، ويعدّ محمّد بن حمزة الشهير بالفناري(تـ ٨٣٤هـ) أوّل من قيّد التفسير بالطاقة البشرية على ما نسب إليه[١٥] .

ومن المحدثين السيّد الطباطبائي في تفسير الميزان:(هو بيان معاني الآيات القرآنية والكشف عن مقاصدها ومداليلها)[١٦] .

والسيّد الخوئي:(التفسير: هو إيضاح مراد الله تعالى من كتابه العزيز)[١٧] .

ومحمّد هادي معرفة:(اصطلحوا على أنّ التفسير هو إزاحة الإبهام عن اللفظ المشكل، أي : المشكل في إفادة المعنى المقصود)[١٨]، والتفسير ليس مجرد كشف القناع عن اللفظ المشكل، بل هو محاولة إزالة الخفاء في دلالة الكلام، فلا بد من أن يكون هناك إبهام في وجه اللفظ بحيث ستر وجه المعنى، ويحتاج إلى محاولة واجتهاد بالغ حتى يزول الخفاء ويرتفع الإشكال[١٩] ، وهذا هو المائز الأساس بين الترجمة والتفسير من جانب ، وبين التفسير والتأويل من جانب آخر[٢٠].

التفسير بالمأثور

يعتمد التفسير النقلي أوالتفسير بالتفسير بالمأثور ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل أولا ، ثمّ على ما نقل عن المعصوم :النبي " صلى الله عليه واله وسلم " أو الأئمة من خلفائه "عليهم السلام " ،وبعده على المأثور من الصحابة والتابعين لهم "رضي الله عنهم " مما جاء بيانا وتوضيحا لجوانب أبهمت من القرآن .

وكان إدراج ما روي عن التابعين في التفسير بالمأثور، من جهة أنّ أقدم كتب التفسير بالمأثور أمثال تفسير ابن جرير وغيره اعتمد أقوال التابعين وآرائهم في التفسير، على نحو اعتماده المأثور من المعصوم؛ فنراهم قد أردفوا ما نقل عن التابعين إلى جنب المنقول عن الصحابة، بل إلى جنب أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم "وسائر الأئمة "عليهم السلام " .

أنحاء التفسير بالمأثور

١- تفسير القرآن بالقرآن

لا شكّ أنّ أتقن مصدر لتبيين القرآن هو القرآن نفسه؛ لأنّه ينطلق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض[٢١] – كما قال أمير المؤمنين "عليهم السلام " – إذ ما جاء منه مبهما في موضع منه، قد جاء

مفصلا ومبينا في موضع آخر،بل وفي القرآن تبيان لكلّ شيء جاء مبهما في الشريعة، فلأن يكون تبيانا لنفسه أولى.

ومن ذلك جاء قولهم : القرآن يفسّر بعضه بعضا.

وتفسير القرآن بالقرآن على شقّين:

الأوّل: منه ما أبهم في موضع وبين في موضع آخر، فكان أحدهما متناسبا مع الآخر تناسبا معنويا أو لفظيا- كما في قوله تعالا:(حم* والْكِتَابِ الْمُبِينِ* انَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ)(الدخان: ١-٣) وقد جاء تبيين هذه الليلة المباركة بليلة القدر في سورة القدر:(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) (القدر:١)، وقد تبين في سورة البقرة إنّها واقعة في شهر رمضان:(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ القرآن)(البقرة: من الآية١٨٥) فقد تبين من مجموع ذلك: أنّ القرآن نزل في ليلة مباركة هي ليلة القدر من شهر رمضان[٢٢] .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ)(الأنفال:٢٤) ما هذه الحيلولة وكيف هي، وهو تهديد لاذع لأولئك الزائفين المتمردين على الشريعة والدين.

وهذا الإبهام يرتفع عند مراجعة قوله تعالى:(وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (الحشر:١٩) فعرفنا أنّها نسيان الذات، فالذي يجعل من شريعة الله وراء ظهره، إنّما حرم نفسه ونسي حظه، فقد تاه في غياهب ضلالة الجهل والعمى.

وهكذا قوله تعالى:(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ)(الرعد:٤١) ما المقصود من" الأرض" هنا في هذه الآية، وكيف يقع نقصانها ؟

أمّا الأرض ما فالمقصود منها هو العمران منها، وليس المراد هي الكرة الأرضية.

ويشهد لذلك قوله تعالى بشأن المحاربين المفسدين في الأرض: (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (المائدة:٣٣)؛ فإنّ النفي من الأرض، يراد به الإبعاد عن العمران ليظلّ حيرانا بين البراري والقفار.

أمّا كيف يقع النقصان؟ فتفسره هذه الرواية – عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن عليّ، عمن ذكره، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: كان علي بن الحسين عليهما السلام يقول : إنّه يسخي نفسي في سرعة الموت والقتل فينا قول الله:(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا)(الرعد: من الآية٤١)، وهو ذهاب العلماء[٢٣] .

ومن هذا النمط أيضا قوله تعالى: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً) (الأحزاب:٧٢) .

فجاءت آية أخرى تفسرها بالخلافة:(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً)(البقرة: من الآية٣٠) .

كانت آية ثالثة تفسر الخلافة بقدرة الإبداع وإمكان التصرف في ساحة الوجود:(أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ)(لقمان: من الآية٢٠)(وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً)(الجاثية: من الآية١٣)؛ فقدرة الإنسان التسخيرية وإمكان تصرفه في عالم الوجود، علوه وسفله، هي قدرته الإبداعية التي تمثل قدرة الله الحاكمة على عالم الوجود بذاته المقدسة.

فجاءت كل آية تفسر أختها، والقرآن يفسّر بعضه بعضا[٢٤] .

أمّا الثاني من تفسير القرآن بالقرآن، كان ما جاء فيه البيان غير مرتبط ظاهرا لا معنويا ولا لفظيا مع موضع الإبهام من الآية الأخرى، سوى إمكان الاستشهاد بها لرفع ذلك الإبهام.

مثال ذلك: آية السرقة ؛إذ أبهم فيها موضع قطع اليد، فقد بين الإمام أبو جعفر الجواد "عليه السلام " إنّه من موضع الأشاجع (مفصل أصول الأصابع) مستشهدا لذلك بقوله تعالى:(وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُو مَعَ اللَّهِ أَحَداً) (الجن:١٨) إذ إنّ السارق إنّما جنى على نفسه؛ فتعود عقوبته إلى ما يمسّه من الأعضاء، وبما أنّ مواضع السجود لله تعالى ،لا يشركه فيها أحد، وراحة الكفّ من مواضع السجود لله، فلا موضع للقطع فيها[٢٥] .

وجميع الآيات التي بظاهرها التشبيه، يفسرها قوله تعالى:(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)(الشورى: من الآية١١) إذ إنّها تنفي التشبيه على الإطلاق ، فلا بدّ هناك في آيات التشبيه من تأويل صحيح، يوضحه العقل السليم.

٢-تفسير القرآن بالسنة

لا شكّ أنّ مجموعة أحكام الشريعة وفروع مسائلها، جاءت تفاصيل عمّا أبهم في القرآن وأجمل من عموم وإطلاق، وهكذا ما ورد عن المعصوم وفعله وتقريره، بيانا لمختلف أبعاد الشريعة، هي بيانات عمّا جاء في القرآن من رؤوس الأحكام والأخلاق والآداب .

قال الله تعالى مخاطبا نبيه الكريم:(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)(النحل: من الآية٤٤)، فقد كانت وظيفة النبي الأساس هي بيان وتبيين ما جاء في الذكر الحكيم، وكلّ ما صدر عنه في بيان أبعاد الشريعة، فإنّما هو تفسير للقرآن الكريم .

هذا فضلا عمّا سئل عن معاني القرآن، حيثما أبهم على الصحابة، فبيّنه لهم في شرح وتبيين.

وهكذا ما ورد عن أئمة أهل البيت: عليهم السلام " تفسيرا لما أبهم أو تفصيلا لما أجمل في القرآن الكريم.

٣-تفسير القرآن بقول الصحابي

لتفسير الصحابي قيمةٌ كبيرة فهو الذي تربى في أحضان الرسالة وقد أخذ العلم مباشرة من منهله العذب السائغ، وكان ممّن تفقه على يده الكريمة، وتحت هديه وإرشاده المستقيم "صلى الله عليه و آله سلم "فلا بدّ أنّهم أقرب الناس فهما إلى معاني القرآن الحكيمة، وأهداهم إلى معالمه الرشيدة.

هذا ابن مسعود يقول:كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات، لم يجاوزهن حتى يعلم معانيهن والعمل بهن "[٢٦] .

وهذا أمير المؤمنين "عليه السلام " يقول: وإنّما هو تعلم من ذي علم ...علّمه الله نبيه فعلمنيه ودعا لي بأن يعيه صدري و تضطمّ عليه جوانحي [٢٧].

إلى غير ذلك من تصريحات تنبؤك عن مدى حرصه "صلى الله عليه وسلم "على تعليم صحابته وتثقيفهم الثقافة الإسلامية ــ القرآنية الكاملة.

٤- تفسير القرآن بقول التابعي

لا شكّ أنّ التابعين هم أمسّ جانبا بأحاديث الرسول "صلى الله عليه وآله سلم "، والعلماء من صحابته الخيار، وكانوا أقرب فهما لمعاني القرآن الكريم؛ إذ قربهم بأصول معاني اللغة الفصحى غير المنحورة، الباقية على صفوها الأوّل، كما كانت الحوادث والوقائع المقترنة بنزول الآيات، والموجبة أحيانا للنزول، كانت تلك الحوادث والأسباب والموجبات في متناولهم القريب، كما كان باب الفهم والسؤال لديهم مفتوحا، وبالتالي كان باب العلم بأسباب النزول وفهم معاني القرآن والسؤال عن مواضع الإبهام فيه منفتحا لهم بمصراعيه، الأمر الذي لم يحظ بها من تأخر من أرباب التفسير.

هذا ومع ذلك إنّما نعدّ قول التابعي شاهدا ومؤيدا، وليس حجّة على الإطلاق، كما كان حديث المعصوم "عليه السلام "حجّة برأسه، أو قول الصحابي بالنسبة وفي الغالب الأكثر حجة معتبرة، فإنّما يقع قول التابعي في الدرجة الثالثة الاعتبار، وليس على إطلاقه[٢٨].

آفات التفسير بالمأثور وهناته

التفسير النقلي يشمل ما كان تفسيرا للقران بالقرآن، وما كان تفسيرا للقرآن بالسنة، وما كان موقوفا على الصحابة، أو المروي عن التابعين، أمّا تفسير القرآن بالقرآن بعد وضوح الدلالة، أو بما ثبت من السنة الصحيحة فذلك مما لاخلاف فيه ولا شكّ يعتريه؛ لأنّه من أحسن الطرائق إلى فهم معاني كلامه تعالى، وأمتنها وأتقنها.

وأمّا ما أضيف إلى النبي "صلى الله عليه واله سلم " أو إلى أحد الأئمة الأطهار، وكان في سنده ضعف أو في متنه وهن ،فذلك مردود غير مقبول، مادام لم تصح نسبته إلى المعصوم .

وأمّا تفسير القرآن بالمروي عن الصحابة والتابعين، فقد تسرّب إليه الخلل، وتطرّق إليه الضعف والوهن الكثير، إلى حدّ كاد يفقدنا الثقة بكلّ ما روي من ذلك – كما قال الأستاذ الذهبي [٢٩]– إذ وفرة أسباب الضعف والوهن في ذلك الخضم من المرويات، في كتب التفسير المعزوّة إلى الصحابة والتابعين، وقد خلط سليمها بسقيمها ؛بحيث خفي وجه الصواب.

ولقد كانت كثرة المروي من ذلك كثرة جاوزت الحدّ، وبخاصة ما إذا وجدنا التناقض وتضارب الأقوال، وكثيرا ما تضاد ما نسب إلى شخص واحد، كالمرويات عن ابن عباس، كان ذلك من أكبر عوامل زوال الثقة بها أو بالأكثرية الساحقة منها، الأمر الذي يستدعي التثبت لديها، وإنعام النظر والبحث والتمحيص .

هذا الإمام أحمد بن حنبل يصرح بأنّه لم يثبت في التفسير شيء . يقول: ثلاث كتب لا أصل لها: المغازي، والملاحم، والتفسير، قال المحققون من أصحابه: مراده إنّ الغالب أنّه ليس لها أسانيد صحاح متصلة [٣٠] .

وهذا الإمام محمّد بن إدريس الشافعي يقول: لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلاّ شبيه بماءة حديث [٣١] –مراده: عدم صحّة الإسناد إليه في كثير من المرويات عنه .

وهذا الكلام، وإن كان مبالغا فيه ،إلاّ إنّه يدلنا على مبلغ ما دخل في التفسير النقلي من الروايات المكذوبة المصطنعة، فضلا عن الضعاف والمراسيل.

وعلى أيّ تقدير فأسباب الوهن في التفسير النقلي تعود إلى الأمور الأربعة الآتية:

أولا :ضعف الأسانيد وإرسالها أو حذفها رأسا؛ ممّا يوجب القدح في التفسير بالمأثور.

وثانيا: كثرة الوضع والدسّ والتزوير في الحديث والتفسير، بما أوجب زوال الثقة به.

وثالثا: وفرة الإسرائيليات في التفسير والتاريخ بما شوّه وجه التفسير[٣٢] .

ورابعا: تحكيم الرأي والاجتهاد[٣٣] .

وسنأتي إلى هذه الأقسام ونبدأ بـــ:

أولا : ضعف الأسانيد وإرسالها أو حذفها

ممّا أوجب الوهن في وجه التفسير النقلي، ضعف الأسانيد بكثرة المجاهيل أو ضعاف الحال أو الإرسال أو حذف الإسناد رأسا، وما إلى ذلك ممّا يوجب ضعف الطريق في الحديث المأثور[٣٤].

ولم يكن الصحابة – والرسول(صلى الله عليه وآله) حاضر عندهم– بحاجة إلى إسناد القول أو ذكر مصادره؛ فإنّ الحاضر يرى ما لا يرى الغائب، والنسبة إنّما تكون لمصدر الرسالة التي بهرت تعاليمه العقول وفاقت أنواره كلّ نور[٣٥].

فعندما التحق النبي(صلى الله عليه واله) بالرفيق الأعلى بدأ القوم بالتثبت في الذي يروى عن النبي وقد يطلبوا أحيانا الشهادة أو اليمين ممّن يروي عنه، ولا سيما إذا كان المروي في الأمور التعبدية.

أمّا التفسير – وكذا التاريخ – فليس الأمر كذلك؛ إذ طريق الاستيثاق والحجية تختلف أساليبه عن أساليب الفقه.

إذاً لا حجية تعبّدية هنا، كما كانت حجة تعبد هناك؛ فإنّ دليل التعبد قاصر الشمول هنا؛ إذ لا عمل يوجب التعبد فيه.

إنما هو عقيدة وركون نفس، إن حصلت أسبابه حصل، وإلاّ فلا، ولا معنى للتعبد في العقيدة والرأي أو في وقوع حادثة أو عدم وقوعها.

مثلا: لا معنى للتعبّد بان تفسير الآية الفلانية كذا؛ إذ التفسير :كشف القناع عن وجه اللفظ المبهم، فإن ارتفع الإبهام وانكشف المعنى ،أصبح موضع القبول والإذعان به، وإن لم يرتفع الإبهام، فلا موضع للقبول والإذعان تعبدا محضا.

وهذا نظير الأحداث التاريخية، إنّما يذعن بها إذا حصل الاطمئنان الشخصي بوقوعها من أي سبب كان، ولا يمكن التعبّد بوقوع حدث تاريخي إطلاقا.

وهذا معنى قولهم: لا اعتبار بالخبر الواحد في باب التفسير والتاريخ والعقائد؛ إذ لا يوجب علما ولا عملا، إذ المطلوب في هذه الأبواب هو العلم، الذي لا يحصل بخبر الواحد بمجرده، كما لا عمل –فعلا أو تركا – هنا كي يستدعي الخبر الواحد التعبد به، ومن ثم اختص باب التعبد في اعتبار الخبر الواحد بالفقه؛ حيث العمل هناك محضا .

إذن فما قيمة الحديث – الخبر الواحد – في باب التفسير وكذا التاريخ ؟ الأمر الذي يجب الإنعام فيه: قيمة الخبر الواحد في باب التفسير والتاريخ؛ إنّما هي بملاحظة المتن الوارد فيه، دون مجرّد السند.

فإن كان مضمون الخبر – وهو محتوى الحديث الوارد – ما يعالج دفع مشكلة إبهام في الأمر، فالمتن نفسه شاهد على صدقه، وإلاّ فلا دليل عن التعبد به.

فالحديث المأثور عن الرسول" صلى الله عليه وآله" أوعن أحد الأئمة "عليهم السلام " أو أحد الصحابة العلماء أو التابعين الكبار، إن كان يزيد في معرفة أو يرفع من إبهام في اللفظ أو المعنى فهو شاهد صدقه؛ ذلك إنّهم أعرف بمواضع النزول واقرب تنازلا فيه؛ إذ قرب عهدهم به، أو إنّهم حضروا الحادثة فنقلوها.

وللعقلاء طريقتهم في قبول خبر الثقة بل من لم يظهر فسقه علانية فيعتمدونه؛ وعليه جاء قوله تعالى:(إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا)(الحجرات: من الآية٦)، فقد أقرّ العقلاء بقبولهم للنبأ ما لم يكن الآتي به متجاهرا بالفسق، ممّن لا يتورع الكذب، ولا يخاف الله في سره وعلانيته، فمن عرف بالصدق والأمانة قبل نبؤه، ومن عرف بالكذب والخيانة ترك، ومن كان مجهولا تريثنا، فإن ظهرت منه دلائل الصدق قبلناه وإلاّ رفضناه .

إذن فشرط قبول الخبر احتفافه بقرائن الصدق: من وجوده في أصل معتبر، وكون الراوي معروفا بالصدق والأمانة، وعلى الأقل غير معروف بالكذب والخيانة، وسلامة المتن واستقامته، ممّا يزيد علما أو يزيل شكا، وأن لا يخالف معقولا أو منقولا ثابتا في الدين والشريعة، الأمر الذي إذا توافر في حديث أوجب الاطمئنان به وإمكان ركون النفس إليه؛ وعليه فلا يضرّه حتى الإرسال في السند إن وجدت سائر شرائط القبول[٣٦] .

ثانيا- كثرة الوضع والدسّ والتزوير في الحديث والتفسير

الموضوع من الحديث هو المختلق المصنوع[٣٧]، وقد يعبّر عنه بأنّه المكذوب المختلق المصنوع، بمعنى أنّ واضعه اختلقه، لا مطلق حديث الكذوب فإن الكذوب قد يصدق، ويعرف الوضع بإقرار واضعه، أو معنى إقراره، أو قرينة في الراوي أو المروي، إذ وضعت أحاديث يشهد بوضعها ركاكة لفظها ومعانيها.

قال ابن الجوزي: ما أحسن قول القائل: إذا رأيت الحديث يباين المعقول، أو يخالف المنقول، أو يناقض الأصول، فاعلم أنه موضوع[٣٨]؛

فقد روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) متواتراً وبطرائق كثيرة قوله:(من كذب عَليّ متعمداً فليبوأ مقعده من النار).

وقد حاول بعض تضعيف الرواية أو صرفها عن موضوع الكذب في الرواية عن الرسول (صلى الله عليه وآله)[٣٩]، فقال إنّ الرواية قد وردت في رجل أدعى أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد أرسله إلى قوم وأمره أن يحكم فيهم برأيه وفي أموالهم، فهي بحسب قولهم قد وردت في مقام الكذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا مقام الكذب في الرواية عنه، إلاّ أنّ جملة من استشهد بها ــ ومنهم كبار الصحابة ــ ذكرها في مقام النهي عن الكذب في الحديث والرواية[٤٠] .

أمّا متى ابتدأ الوضع فقد اختلف الباحثون في تحديد الزمن الذي بدأ فيه الوضع، فذهب بعضهم كأحمد أمين، وغيره إلى أنّ الحديث المذكور يدلّ على وقوع الوضع زمن رسول الله(صلى الله عليه وآله).

فيما ذهب آخرون إلى نفي وقوع الوضع زمن النبي (صلى الله عليه وآله): (لأنّ صحابة رسول الله (ص) كلّهم عدول وثقاة، ولا يمكن أن يكذبوا على رسول الله (ص)، بل لا يفكروا في ذلك بأي حال من الأحوال ... وكذلك لم يحصل الوضع في أحاديث الرسول (ص) زمن أبي بكر ولا زمن عمر ....)إنّما الوضع بدأ في عهد عثمان بسبب سياسته (التي جعلت أهل الأهواء والبدع ينشطون فيما يرومون)[٤١] .

وما قيل عن الصحابة مبالغ فيه، فحديث (منَ كذب) كان بحق أحد المعاصرين للنبي (صلى الله عليه وآله) كما نزلت آية الإفك، وهي قوله تعالى﴿ إن الذين جاءوا بالإفك عُصبة منكم ..﴾ (النور /١١) ، بحقّ بعض الصحابة وأهل المدينة المصاحبين له[٤٢].

هذا ينفي ما ذهب إليه البعض من أنّ (الحدّ الفاصل بين نقاء الشريعة وظهور الوضع في الحديث، هو سنة إحدى وأربعين فيما بعدها، حيث أنتشر الوضع وازداد وتجرأ الناس عليه فوضع أهل العراق أحاديث في ذم معاوية ، وكذلك فعل جهّال الشام حيث وضعوا أحاديث ذمّوا فيها أهل العراق..)[٤٣] .

نعم، ربّما كانت حركة الوضع أقلّ ظهوراً فيما قبل ظهور التحزب الأموي في الشام، ثمّ أنّه نشطت هذه الحركة ونمت واتسعت بفعل السياسة الأموية.

قال ابن عرفة المعروف بنفطويه(إنّ أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيّام بني أمية تقريباً إليهم بما يظنون أنّهم يرغمون به أنوف بني هاشم)[٤٤] .

وذكر الواقدي تلك الظروف، وقال:(فظهر حديث كثير موضوع بهتان منتشر).[٤٥]

وقال الإمام محمّد عبده:(إنّ عموم البلوى بالأحاديث الكاذبة كان في دولة الأمويين)[٤٦]، وفي الآتي أسباب وضع الحديث وأنواعه[٤٧]:

أولاً- الأسباب السياسية

وأوّل من بدأ بهذه النوع من الوضع الأمويون أيّام معاوية واستمر بعده، والذين جندوا لذلك كثيرين من علماء السوء ووعاظ السلاطين .

فممّا رووا في ذلك عن أبي هريرة مرفوعاً – إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) –: الأمناء عند الله ثلاثة: أنا وجبريل ومعاوية.

قال الخطيب والنسائي وابن حبّان: هذا الحديث باطل موضوع، وقال ابن عدي: باطل من كلّ وجه، وزيف الحاكم طرائقه وفيها جمع الكذابين والوضّاعين[٤٨].

ثمّ أنّهم قد يختارون لما يضعونه أسانيد معتبرة عند المحدثين ليأخذ ما يضعون طريقه الى الكتب والصحاح، من ذلك ما رووه عن عبد الله بن عمر مرفوعاً: الآن يطلع عليكم رجل من أهل

الجنة، فطلع معاوية، فقال، أنت معاوية مني وأنا منك، لتزاحمني على باب الجنة كهاتين –وأشار بإصبعيه–.

وركز الإعلام الأموي في موضوع كتابة الوحي، وجعلوا منه أم الفضائل لمعاوية ،فرووا عن سعد: إن النبي (ص) قال لمعاوية: إنّه يحشر وعليه حلّة من نور ظاهرها من الرحمة وباطنها من الرضا يفتخر بها في الجمع لكتابة الوحي.

ذكره الذهبي من أباطيل محمد بن الحسن الكذّاب الدجّال[٤٩].

وقد ذهب النسائي –صاحب السنن– إلى دمشق فسألوه عن معاوية وما رويَ في فضائله، فقال: لا أعرف له فضيلة إلاّ(لا أشبع الله بطنك)، فما زالوا يدفعون في حضنه، وفي رواية في خصييه، وداسوه حتّى حمل الى الرملة، ومات هناك[٥٠].

وقد أخرج ابن الجوزي من طريق أحمد بن حنبل، قال :سألت أبي :ما تقول في علي ومعاوية؟ فأطرق ثمّ قال: أيش أقول فيهما، إنّ علياً كان كثير الأعداء ففتش أعداءه له عيباً، فلم يجدوا، فعمدوا الى رجلٍ –يريد معاوية– قد حاربه وقاتله، فأطروه كيداً منهم لعلي[٥١].

وعلى هذه السيرة كان العباسيون، إذ وضع لهم المزدلفة الحديث للتقرب إليهم[٥٢].

ثانياً :. الأسباب المذهبية[٥٣]

ونعني به وضع أتباع بعض الفرق الدينية الحديث نصرة لمذهبهم، وقد أخذ هذا النوع من الوضع طريقه إلى أكثر الفرق التي استعان أنصارها بوضع الحديث لنصرة آرائهم واعتقاداتهم المذهبية، حتى أنّا نجد في التاريخ الصراع بين الطوائف أحاديث موضوعة في ذم الكثير من الفرق الدينية والكلامية...[٥٤] .

ونقل ابن الجوزي: أنّ بعض الفرق كانت ترى جواز الوضع في الحديث نصرة لمذهبهم ومعتقدهم، كالكرامية والخوارج الذين نسب إلى شيوخهم القول من أنهم إذا رأوا رأياً صيروه أو جعلوا له حديثاً[٥٥].

ومن نماذج الوضع المذهبي، ما ذكره الذهبي عن نعيم بن حماد بن معاوية المتوفى سنة(٢٢٧ هـ)،قال: وكان يضع الحديث في تقوية السنة وحكايات في ثلب أبي حنيفة وكان صلباً في السنة.

ومنهم أحمد بن عمرو بن مصعب بن بشير، وكان من الوضّاعين، ووضع كتباً في تقوية السنّة كلّها موضوعة ومنتشرة عند الخراسانيين في عصره[٥٦].

وقد ذكر ابن الجوزي في الموضوعات، أحاديث مختلفة وضعت في ذمّ ومدح أئمة المذاهب منها: يكون في أمتي رجل يقال له محمّد بن إدريس أضرّ على أمتي من إبليس، ويكون في أمتي رجل يقال له أبو حنيفة هو سراج أمتي[٥٧].

ثالثاً :. الأسباب التعبدية[٥٨]

وربّما أطلقنا تلك التسمية تجوزاً، لأنّ الوضّاعين من هذا القسم يضعون الحديث تعبداً وتقرباً إلى الله، بحسب ظنّهم، فقد ذهب بعض المتصوّفة الى جواز وضع الحديث للترغيب والترهيب، ترغيباً للناس في الطاعة وزجراً لهم عن المعصية، واستدلوا بما روي في بعض طرائق الحديث: من كذب علي معتمداً ليضلّ به الناس فليتبوأ مقعده من النار.

ويبدوا أنّ وضع الحديث انتشر عند هؤلاء وأمثالهم، حتّى روي عن عبيد الله النواريزي، قال:سمعت يحيى بن سعيد القطان، يقول: ما رأيت الكذب في أحد أكثر منه في من ينسب الى الخير والزهد.

كما يبدو أنّ بعضهم كان مقتنعاً تماماً بفعله في وضعه الحديث، ليحث الناس على الخير، حتّى روي أنّ أبا الحسين الرهاوي قال: سألت عبد الجبار بن محمد، عن أبي داود النخعي، فقال: كان أطول الناس قياماً بليل وأكثرهم صياماً بالنهار، وكان يضع الحديث وضعاً[٥٩].

رابعاً:. حركة الزنادقة[٦٠]

الزنديق مصطلح أُطلق على كلّ شاكّ أو ضالّ أو ملحد[٦١]،إلاّ أنّ الزنادقة غالباً ما يراد بهم الذين قصدوا إفساد الشريعة وإيقاع الشكّ فيها في قلوب العوامّ والتلاعب بالدين[٦٢].

ومن أشهرهم: عبد الكريم أبن أبي العوجاء الذي كان يدسّ الأحاديث في كتب حماد بن سلمة، فلمّا أخذ أبن أبي العوجاء، أتي به محمّد بن سليمان بن علي، فلمّا أمر بضرب عنقه، فلمّا أيقن بالقتل ،قال: والله لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث أحرّم فيها الحلال وأحلّ فيها الحرام، ولقد فطرتكم في يوم صومكم وصومتكم في يوم فطركم[٦٣].

هؤلاء الزنادقة من يأخذ من شيخ مغفل كتابة فيدس في كتابة ما ليس من حديثة فيرويه ذلك الشيخ ظنّاً منه أن ذلك من حديثة[٦٤].

ومن الزنادقة، سيف بن عمر الذي كان متخصصاً في الدسّ في السيرة وكتب التاريخ، قال عنه يحيى بن معين(ضعيف الحديث فلسٌ خير منه).

وقال عنه ابن حبان: يروي الموضوعات عن الإثبات، اتّهم بالزندقة ..قالوا:كان يضع الحديث[٦٥].

ومع ذلك فقد روي عنه الطبري في تاريخه كثيراً، ومن الطبري أخذ الكثيرون من أرباب السير والتاريخ رواياته، ومنها مخترعاته وموضوعاته[٦٦] .

وكان ممن يدس الأحاديث من الزنادقة الغلاة،المغيرة بن سعيد، الذي دسّ في كتب أصحاب محمّد بن علي الباقر أحاديث لم يحدّثْ بها ،وكذلك أصحاب أبي الخطاب الذي دسّوا الأحاديث في كتب

أصحاب جعفر الصادق، الذي قال محذراً من الأحاديث الموضوعة:(لا تقبلوا علينا حديثاً إلا ما وافق القرآن والسنة، أو تجدون معه شاهداً من أحاديثنا المتقدمة، فإنّ المغيرة بن سعيد –لعنه الله– دسّ في كتب أصحاب أبي أحاديث لم يحدث بها أبي، فتقوا الله ولا تقبلوا علينا ما خالف قول ربنا تعالى وسنة نبينا (ص)، فإنا أذا حدثنا قولنا قال الله عز وجل، وقال رسول الله (ص))[٦٧].

خامساً:. الوضع القصصي[٦٨]

والقُصّاص كانوا منذ القديم وعبر التاريخ، إلاّ أنّهم مع ظهور الإسلام، كانوا يقصون على الناس، ويكون من عملهم التفسير والأثر والخبرعن الأمم البائدة وغيرهم للتعليم والموعظة، ولم يكن ذلك في القرن الأوّل مرذولاً ؛لأنّ فنونه ترجع الى القرآن والحديث، إلاّ ما كان يشوبه ممّا كان يسمونه بالعلم الأوّل، وهو ما يتعلق بأخبار الأمم السالفة وأكثره يأخذونه من أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ومن أسلم منهم كعبد الله بن سلام وكعب الأحبار ووهب بن منبه[٦٩]، ويركز أحمد أمين في دور كعب ووهب ونفوذ أقوالهما وآثارهما من رواية القصص وفي التاريخ والحديث وكتب التفسير، قال:(وعلى الجملة فقد دخل على المسلمين من هؤلاء وأمثالهم في عقيدتهم وعلمهم كثير كان له فيهم أثر غير صالح)[٧٠].

ويذكر أحمد أمين أنّ أوّل قاص في الإسلام هو تميم الداري، أستأذن عمر أن يذكر الناس فأبى عليه، حتى كان آخر ولايته فأذن له أن يذكر الناس في يوم الجمعة فكان تميم يفعل ذلك.

وقال أحمد أمين: (وقد نما القصص بسرعة: لأنّه يتفق وميول العامة، وأكثر القصاص من الكذب حتى رووا أنّ علي بن أبي طالب طردهم من المساجد، واستثنى الحسن البصري؛ لتحريه الصدق في قوله)[٧١].

وقد استفاد معاوية من كعب الأحبارــ كما ذكر ابن حجر العسقلاني ــ إذ أمره معاوية بأن يقصّ في الشام، وهو الذي بثّ أحاديث تفضيل الشام وأهلها[٧٢].

وتطور الأمر في القرن الثاني؛ إذ أنتشر القصاصون وكان همُّ أحدهم أن يجيء بالغرائب ويكثر من الرقائق، وإذا كان القصاصون آنفاً من أهل العلم والحديث فأن الأمر انتهى في القرن الثالث إلى أن(اسم القاص أصبح لقباً عاميا مبتذلاً، وأكثر المتصدرين في الوعظ أنّما يكونون من أهل الحديث والمتسعين في العلوم ولا حاجة إلى الكلام عنهم، ولم يزد المتصوفة في الأخبار إلا ما يزعمون أنهم احتووه بعلم خاص ، والله أعلم بغيبه)[٧٣].

وقد سار العباسيون بسيرة الأمويين في تبني القصاصين، فقد استجلب الرشيد إسحاق المعروف بأبي حذيفة المتوفى سنة(٢٠٠هـ)، وهو معروف بالكذب ومشهور بالوضع، فأمره الرشيد أن يجلس

في مسجد ابن رغبان ويحدث الناس، فأخذ إسحاق يحدث بالأكاذيب ويروي عن خلق من الثقات أكثرهم ماتوا قبل أن يولد[٧٤].

كما استقدم المهدي أبا معشر السندي، وأشخصه الى بغداد، وقال: تكون بحضرتنا تفقه من حولنا، وكان أبو معشر ماهراً بوضع الأحاديث والقصص، قال ابن جزرة: أبو معشر أكذب من تحت السماء وصنف كتاب المغازي، وروى عنه الواقدي وابن سعد، ومنه استمد الطبري معلومات تاريخية كثيرة[٧٥].

ويبدو أنّ الوضع قد اتخذ من القصة سبيلاً واسعاً لتمرير أكاذيبه وخيالاته، خصوصاً وأنّ للقصة تأثيرها الواسع في الناس وجمهورها العريض، حتى أنّ ابن الجوزي قال:(القصاص ومعظم البلاء منهم يجري؛ لأنهم يزيدون أحاديث تثقف وترقق والصحاح يقول فيها، هذا ثم أن الحفظ يشفق عليه ويتفق عدم الدين ومن يحضرهم جهال فيقولون .....)[٧٦].

وذكر ابن الجوزي طرفاً من تجربته مع القُصّاص، فقال:(وقد ذكرت في كتاب القصاص عنهم طرفاً من هذه الأشياء، وما أكثر ما يعرض علي أحاديث في مجلس الوعظ قد ذكرها قصاص الزمان فأردّها عليهم وأبيّن أنها محال، فيعتدون علي حين أبين عيوب شغلهم ....)[٧٧].

سادساً: أسباب أخرى[٧٨]

هذا وقد ذكرت أسباب أخرى للوضع، ولكنها أضعف تأثيراً ،كوضع الشحاذين الذين يضعون أحاديث يكتسبون بذلك ويرتزقون به ، أو آخرون لم يعتمدوا الوضع كأن أخطؤوا ورووا عن كذاب، أو لم يدققوا في النقل أواختلطت عقولهم في آخر أعمارهم فخلطوا ...[٧٩].

ومن معرفة أسباب الوضع تعرف المنافذ التي يدخلها الوضاعون، كما يعرف كنه حديثهم، ويحذر منه في مواطنه، خصوصاً أذا علمنا أنّ مساحة الوضع ليست بقليلة وقد ألفت مؤلفات كثيرة في الوضاعين، عدت المئات منها[٨٠] ، كما ألفت كتب كثيرة في الأحاديث الموضوعة ،منها كتاب(الموضوعات) لابن الجوزي، و(الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة) للشوكاني الذي ذكر فيه ألفاً وأربعمائة أحاديث[٨١]، ومن نماذج الوضاعين، محمد بن يوسف بن يعقوب الرازي: شيخ دجال كذاب، كان يضع الأحاديث والقراءات والنسخ، وضع كثيراً في القرآن ،قال الدار قطني، وضع نحو من ستين نسخة قراءات ليس شيء منها أصل، ووضع من الأحاديث ما لا يضبط قبل بغداد قبل الثلاثمائة[٨٢].

الوضع في التفسير[٨٣]

كان الوضع والتزوير من أهم اسباب الوهن في التفسير المأثور، فقد كانت الدواعي متوافرة للدسّ والاختلاق في المأثور من التفسير، إلى جنب الوضع في الحديث، فهناك أسباب سياسية وأخرى مذهبية وكلامية، وربما عاطفية، كانت عن قصور النظر لا عن سوء نيّة.

والعمدة إنّ القرآن كان المحور الأساس الذي يدور عليه رحى الدين والسياسة والسلوك آنذاك، فلا بدّ لكلّ منتحلي مسلك من المسالك أن يتشبث بعرى القرآن، ويجعل من آياته الكريمة وسيلة ناجعة لبلوغ أهدافه إن خيرا وإن شرا، الأمر الذي جعل من سوق الكذب والتزوير في التفسير والحديث رابحة ذلك العهد.

وقد بدأ هذا الأمر على يد معاوية، إذ كان يجعل الجعائل على وضع الحديث او قلبه تمشية لسياسته الغاشمة ذلك الحين [٨٤]، وراج ذلك طول عهد الامويين وبعدهم العباسيين ؛ إذ اخذ بالتوسع والاطراد .

قال الأستاذ الذهبي: وكان مبدأ ظهور الوضع في سنة إحدى وأربعين بعد وفاة الإمام أمير المؤمنين حيث اختلف المسلمون سياسيا ،وتفرقوا شيعا، ووجد من أهل البدع والأهواء من روجوا من لبدعهم وتعصبوا لأهوائهم، ودخل في الإسلام من تبطّن الكفر والتحف الإسلام بقصد الكيد له وتضليل أهله، فوضعوا ما وضعوا من روايات باطلة؛ ليصلوا بها إلى أغراضهم السيئة ورغباتهم الخبيثة [٨٥].

قال الاستاذ أبو ريّة: وقد أجمع الباحثون والعلماء المحققون ،على أنّ نشأة الاختراع في الرواية ووضع الحديث على رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " إنّما كان في أواخر عهد عثمان وبعد الفتنة التي اودت بحياته، ثمّ اشتدّ الاختراع واستفاض بعد مبايعة الإمام امير المؤمنين " عليه السلام"؛ فإنّه ما كاد المسلمون يبايعونه بيعة تامة ،حتى ذرّ قرن الشيطان الأموي ليغتصب الخلافة من صاحبها، ويجعلها حكما أمويا، وقد كان واسفاه! [٨٦].

وفي ذلك يقول الإمام الشيخ محمّد عبده: وتوالت الأحداث بعد الفتنة الكبرى، ونقض بعض المبايعين للخليفة الرابع الإمام أمير المؤمنين " عليه السلام " ماعقدوا ،وكانت حروب بين المسلمين انتهى فيها أمر السلطان إلى الأمويين! غير أنّ بناء الجماعة قد انصدع، وانفصمت عرى الوحدة بينهم، وتفرقت بهم المذاهب في الخلافة، واخذت الاحزان في تأييد ارائهم، كلّ ينصر راية على رأى خصمه بالقول والعمل، وكانت نشأة الاختراع في الرواية والتأويل، وغلا كلّ قبيل [٨٧].

ثالثا: وفرة الإسرائيليات في التفسير والتاريخ بما شوه وجه التفسير

لفظ الإسرائيليات يستعمله علماء التفسير والحديث ويطلقونه على ما هو أوسع وأشمل من القصص اليهودية، فهو في اصطلاحهم يدلّ على كلّ ما تسلل إلى التفسير والحديث من أساطير قديمة

منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودي أو عبراني، والنسبة فيها إلى النبي إسرائيل، وهو يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم أبو الأسباط الاثني عشر، وإليه ينسب اليهود، فيقال بنو إسرائيل.

وإنّما أطلق علماء التفسير والحديث لفظ الإسرائيليات على كلّ ذلك من باب التغليب للون اليهودي على غيره؛ لأنّ غالبا ما يروى من هذه الخرافات والأباطيل يرجع في أصلها إلى مصدر يهودي، واليهود كانوا أشدّ أهل الكتاب صلة بالمسلمين وثقافتهم كانت أوسع من ثقافات غيرهم..[٨٨] .

وربّما كانت الإسرائيليات من باب النسبة إلى كتب بني إسرائيل المجموعة باسم العهد القديم الذي يأخذ منه اليهود والنصارى على سواء، باعتباره كتاباً مقدساً لديهم، وهو المصدر لهم فيما يرجع إلى قصص الأنبياء والأمم السابقة على المسيح (ع) وهي تمثّل القسم الأساس من الروايات الإسرائيلية في التفسير والحديث.

وأطلق على ما نقل عن النصارى الذين دخلوا الإسلام، كعبد الله بن سلام، وتميم الداري وابن جريح وغيرهم، بالإسرائيليات؛ لأنهم كانوا يرجعون في أكثر ذلك الى كتب بني إسرائيل، وأسفار الأنبياء على وجه الخصوص.

وقد مثّلت الإسرائيليات قسماً معتدّاً به من الروايات التفسيرية حتى عدها بعض الباحثين المصدر الرابع من مصادر الصحابة في التفسير بالمأثور[٨٩] .

على أساس أنّ بعض القضايا التي طرحت في القرآن تتفق مع ما طرح في التوراة إلاّ أنّها في القرآن موجزة والتوراة مفصلة، ولمّا كانت العقول دائماً تميل إلى الاستيفاء والاستقصاء جعل بعض الصحابة (رض) يرجعون في استيفاء هذه القصص التي لم يعرض لها القرآن من جميع نواحيها إلى من دخل دينهم من أهل الكتاب...[٩٠] .

ورأى آخرون أنّ من أسباب قبول الإسرائيليات ورواجها في كتب المفسرين هو حسن ظنّهم في رواة تلك الأنبياء، وأنّهم لا يروون إلاّ الصحيح، وتعويلاً على ما رواه الإمام أحمد والبخاري والترمذي عن عمرو بن العاص – وهو من رواة الإسرائيليات – عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال:(بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج) ، ورواه أبو داوود أيضاً بإسناد صحيح عن أبي هريرة –وهو رواة الإسرائيليات أيضاً –عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنّه قال:(حدثوا عن بين إسرائيل ولا حرج)؛ فترخصوا في روايتها كيف كانت ...[٩١].

طرائق تسلل الإسرائيليات

أخذت أغلب الإسرائيليات طريقها الى كتب الرواية، ومنها التفسير بالمأثور بطرائق ثلاثة هي:

١– الرواية عن كتب الإسرائيليات مباشرة، فقد روى الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ، في ترجمة عبد الله بن عمرو بن العاص أنّه أصاب جملة من كتب أهل الكتاب وأدمن النظر فيها ورأى فيها

عجائب، وقال السيوطي: (وورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص أشياء تتعلق بالقصص وأخبار الفتن والآخرة وما أشبهها بأن يكون ممّا تحمله عن أهل الكتاب، كالذي ورد عنه في قوله تعالى:﴿في ظلل من الغمام﴾ (البقرة /٢١٠)[٩٢] .

٢- الأخذ عمّن دخل الإسلام من أهل الكتاب ككعب الأحبار وعبد الله بن سلام وتميم الدرامي ووهب بن منبه، وقد توزعت المرويات عنهم في كتب التفسير.

٣- عن طريق من أخذ عنهم، كما في بعض الأخبار المروية عن ابن عباس وأبي هريرة وغيرهما، وبعضها صريح بالنسبة إلى مصادرها، كما رويا عن كعب الأحبار، وبعضها موقوف عليهما .

الإسرائيليات في كتب التفسير بالمأثور

أخذت الإسرائيليات طريقها إلى معظم كتب التفسير، متسللة من بعضها إلى البعض الآخر، قال الذهبي:(بل لا أكون مبالغاً ولا متجاوزاً حدّ الصدق إن قلت: إنّ كتب التفسير كلها قد أنزلق مؤلفوها إلى ذكر بعض الإسرائيليات، وإن كان يتفاوت قلة وكثرة وتعقيباً عليها والآخذ عنها) .[٩٣]

وعلى الرغم أنّ بعض المفسرين قد حذر من ذكر الإسرائيليات إلاّ أنّ معظمهم (يتورطون في ذكرها،لا ليحذروا منها، ولا ينبهوا على كذبها، وإنّما يذكرونها وكأنّها وقائع صادقة وحقائق مسلمة بلا نقدٍ لها بغير أسانيدها التي تسير لمن ينظر فيها معرفة صدقها من كذبها)[٩٤].

وكان تفسير محمّد بن جرير الطبري المسمى باسم(جامع البيان في تفسير القرآن)، وهو من أقدم التفاسير وأجلّها، كثير الرواية للأخبار والقصص الإسرائيلية المسندة إلى كعب الأحبار ووهب بن منبه وأبن جريح وغيرهم من مسلمة أهل الكتاب، فهو(يروي في تفسيره أباطيل كثير،يردّها الشرع ولا يقبلها العقل، ثمّ لا يعقب عليها بما يفيد بطلانها اكتفاء بذكر أسانيدها)[٩٥].

ورغم أنّ ابن كثير كان شديد الحذر من الإسرائيليات، فقد قال في مقدمة تاريخه(البداية والنهاية):(ولسنا نذكر من الإسرائيليات إلاّ ما أذن الشارع من نقله ممّا لا يخالف كتاب الله وسنة رسوله(ص)، وهو القسم الذي لا يصدق ولا يكذب، ممّا فيه بسط لمختصر عندنا، أو تسمية لمهم ورد به شرعنا ..(رغم ذلك فإنّه أحيانا(يذكر في تفسيره بعض الروايات الإسرائيلية الغريبة، ولا يعقب عليها بكلمة واحدة)[٩٦].

وحتى الذي وصف الذهبي تفسيره(روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) بأنّه (من أشدّ الكتب نقداً للإسرائيليات وعيباً على من توسعوا في أخذها وحشوا بها تفاسيرهم(حتى هذا (ينزلق أحيانا الى روايتها دون أن يعق عليها أو يحذر منها) [٩٧].

رابعا : تحكيم الرأي والاجتهاد

قامت دعوة الإسلام على إعمال الفكر والعقل والتدبّر في الآيات الافاقية والانفسية، وفي آيات القرآن الكريم، واستنطاق معانيه، فالآيات تدعو الناس جميعا ممّن شاهد عصر النزول أو غاب عنه إلى تعقل القرآن وتأمّله وتدبّره.

وإذا كان في القرآن تلك الدعوة، فإنّ المفسرين هم أولى الناس بتلبية هذه الدعوة، لا سيما وإنّ في القرآن تركيزا في علية القوم من أصحاب الفكر وأرباب العقل وأولي الألباب، وقد كان المسلمون منذ عصر الصحابة بل وحتى في زمن الرسول(صلى الله عليه واله) يحاولون استلهام الفكر من القرآن الكريم وتلمس معانيه والسعي لتطبيقها في حياتهم[٩٨] .

يقول الدكتور إحسان الأمين:(ومن هنا عدّ الزركشي ضمن أمهات مآخذ التفسير بعد ذكر النقل عن رسول الله (صلى الله عليه واله) والأخذ بقول الصحابي، والأخذ بمطلق اللغة ..... الرابع: التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع ،قال:(وهذا هو الذي دعا به النبي (صلى الله عليه واله) لابن عباس في قوله (اللهم فقّهه في الدين وعلّمه التأويل)، وروى البخاري (ره) في كتاب الجهاد في صحيحه عن عليّ: هل خصّكم رسول الله(صلى الله عليه وآله) بشيء ؟ فقال : ما عندنا غير ما هذه الصحيفة أو فهم يؤتاه الرجل)[٩٩].

وقال الزركشي(وعلى هذا قال بعض أهل الذوق: للقرآن نزول وتنزّل، فالنزول قد مضى، والتنزّل باق إلى قيام الساعة، ومن هنا اختلف الصحابة في معنى الآية فأخذ كلّ برأيه على مقتضى نظره في المقتضى، ولا يجوز تفسير القرآن بمجرد الرأي والاجتهاد من غير أصل)[١٠٠]

إلاّ أنّ هناك نوعان من التفسير بالرأي: نوع من التفسير بالرأي من غير دليل يقوم عليه، والنوع الآخر هو الذي يسنده برهان، والنوع الأول هو النوع الذي نهتْ عنه الروايات[١٠١]، ويحسن في هذا المقام أن نورد بعض الأحاديث في هذا الشأن:

١- روى أبو جعفر الصدوق بإسناده عن أمير المؤمنين(عليه السلام) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): قال الله جلّ جلاله(ما آمن بي من فسّر برأيه كلامي)[١٠٢].

٢- وروي أيضا عنه(عليه السلام)(إياك أن تفسّر القرآن برأيك، حتى تفقهه من العلماء، فإنّه ربّ تنزيل يشبه بكلام البشر، وهو كلام الله، وتأويله لا يشبه كلام البشر)[١٠٣] .

٣ – وروي عن الإمام الرضا(عليه السلام) قوله لعلي بن محمد الجهم (لا تؤول كتاب الله(عز وجل) برأيك، فإنّ الله(عز وجل) يقول(وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ)[١٠٤].

وغيرها من أحاديث يستشف منها أنّ السرّ في منع التفسير بالرأي أمران[١٠٥]:

الأوّل: التفسير لغرض المراء والغلبة والجدال، وهذا إنّما يعمد إلى دعم نظرته وتحكيم رأيه الخاص، بما يجد من آيات متشابهة صالحة للتأويل إلى مطلوبه إن صحيحا أو فاسدا، غير أن الآية لا تهدف ذلك لولا الالتواء بها في ذلك الاتجاه.

الثاني: التفسير من غير استناد إلى أصل ركين، اعتمادا على ظاهر التعبير محضا، فإنّ هذا هو القول بلا علم، وهو ممقوت لا محالة، ولا سيما في مثل كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن ثمّ فانه أيضا غير مأجور على عمله حتى لو أصاب المعنى؛ لأنّه أورد أمرا خطيرا من غير مورده والأكثر الغالب في مثله الخطأ والضلال وافتراء على الله وهو عظيم[١٠٦].

روايات الإمام الحسن (عليه السلام) ما ورد من ألقابه في الروايات

١ – الحسن بن علي بن أبي طالب

١- روي عن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام أنه قال : " جاء نفر من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وآله فسأله أعلمهم عن مسائل فكان مما سأله أنه قال : أخبرني عن الله عز وجل لأي شئ فرض الله عز وجل هذه الخمس الصلوات في خمس مواقيت على أمتك في ساعات الليل والنهار ؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله : إن الشمس عند الزوال لها حلقة تدخل فيها، فإذا دخلت فيها زالت الشمس فيسبح كل شئ دون العرش بحمد ربي جل جلاله ، وهي الساعة التي يصلي علي فيها ربي جل جلاله ففرض الله علي وعلى أمتي فيها الصلاة ، وقال :(أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ)(الاسراء: من الآية٧٨) وهي الساعة التي يؤتى فيها بجهنم يوم القيامة ، فما من مؤمن يوافق تلك الساعة أن يكون ساجدا أو راكعا أو قائما إلا حرم الله جسده على النار ، وأما صلاة العصر فهي الساعة التي أكل آدم عليه السلام فيها من الشجرة فأخرجه الله عز وجل من الجنة فأمر الله عز وجل ذريته بهذه الصلاة إلى يوم القيامة واختارها لامتي فهي من أحب الصلوات إلى الله عز وجل وأوصاني أن أحفظها من بين الصلوات ، وأما صلاة المغرب فهي الساعة التي تاب الله عز وجل فيها على آدم عليه السلام ، وكان بين ما أكل من الشجرة وبين ما تاب الله عز وجل عليه ثلاثمائة سنة من أيام الدنيا وفي أيام الآخرة يوم كألف سنة ما بين العصر إلى العشاء وصلى آدم عليه السلام ثلاث ركعات ركعة لخطيئته ، وركعة لخطيئة حواء وركعة لتوبته ، ففرض الله عز وجل هذه الثلاث ركعات على أمتي وهي الساعة التي يستجاب فيها الدعاء فوعدني ربي عز وجل أن يستجيب لمن دعاه فيها ، وهي الصلاة التي أمرني ربي بها في قوله تبارك وتعالى: (فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ) (الروم:١٧) ، وأما صلاة العشاء الآخرة فإن للقبر ظلمة وليوم القيامة ظلمة أمرني ربي عز وجل أمتي بهذه الصلاة لتنور القبر وليعطيني وأمتي النور على الصراط ، وما من قدم مشت إلى الصلاة العتمة

إلا حرم الله عز وجل جسدها على النار ، وهي الصلاة التي اختارها الله تعالى وتقدس ذكره للمرسلين قبلي ، وأما صلاة الفجر فإن الشمس إذا طلعت تطلع على قرني الشيطان فأمرني ربي عز وجل أن أصلي قبل طلوع الشمس صلاة الغداة وقبل أن يسجد لها الكافر لتسجد أمتي لله عز وجل وسرعتها أحب إلى الله عز وجل ، وهي الصلاة التي تشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار[١٠٧] .

٢- وروي عن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام أنه قال : " جاء نفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فسأله أعلمهم عن مسائل فكان فيما سأله أنه قال له : " لأي شئ فرض الله عز وجل الصوم على أمتك بالنهار ثلاثين يوما ، وفرض الله على الأمم أكثر من ذلك ؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله : إن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة بقي في بطنه ثلاثين يوما ففرض الله على ذريته ثلاثين يوما الجوع والعطش ، والذي يأكلونه بالليل تفضل من الله عز وجل عليهم وكذلك كان على آدم عليه السلام ، ففرض الله ذلك على أمتي ، ثم تلا هذه الآية :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ ....)(البقرة ١٨٣-١٨٤)، قال اليهودي : صدقت يا محمد ، فما جزاء من صامها ؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله : ما من مؤمن يصوم شهر رمضان احتسابا إلا أوجب الله تبارك وتعالى له سبع خصال ، أولها يذوب الحرام في جسده ، والثانية يقرب من رحمة الله عز وجل والثالثة يكون قد كفر خطيئة آدم أبيه عليه السلام ، والرابعة يهون الله عليه سكرات الموت ، والخامسة أمان من الجوع والعطش يوم القيامة ، والسادسة يعطيه الله براءة من النار، والسابعة يطعمه الله عز وجل من طيبات الجنة ، قال : صدقت يا محمد[١٠٨].

٣- ما رواه محمد بن علي بن محبوب عن أحمد بن الحسن عن الحسين عن الحسن عن زرعة عن سماعة قال : سألته عن الركوع والسجود هل نزل في القرآن ؟ فقال : نعم قول الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا) (الحج-٧٧)، فقلت : كيف حد الركوع والسجود ؟ فقال : اما ما يجزيك من الركوع فثلاث تسبيحات تقول سبحان الله سبحان الله سبحان الله ثلاثا[١٠٩] .

ثبت المصادر

القرآن الكريم

الإسرائيليات في التفسير والحديث ، محمد حسين الذهبي ، ط٢، دار الأيمان ،١٤٠٥ هـ-١٩٨٥م .

بحار الأنوار - العلامة المجلسي - مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان.

التفسير والمفسرون للذهبي ، طبعة ١ ، بيروت ، دار القلم .

التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب ، محمد هادي معرفة، من منشورات الجامعة الرضوية ، ط١ ، ١٤١٩هـ .

تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد رضوان الله عليه تأليف شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي قدر المتوفى (٤٦٠ هـ)، حققه وعلق عليه الحجة السيد حسن الموسوي الخرسان نهض بمشروعه الشيخ علي الآخوندي الناشر دار الكتب الاسلامية تهران بازار سلطاني.

جامع البيان في تفسير القران ــ ابو جعفر محمد بن جرير الطبري ــ ط٢ ــ مصر ــ شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ــ ١٩٥٤ .

الصحاح ، الجوهري : اسماعيل بن حماد (ت: ٣٩٣هـ) ، تحقيق : احمد عبد الغفور عطار ، مطبعة دار الكتاب العربي ، مصر (د. ت) .
قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة ، محمد فاكر الميبدي ، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب ط١ ٢٠٠٧ م.
الكافي ، تأليف ثقة الاسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي رحمه الله المتوفى سنة ٣٢٨ / ٣٢٩ هـ مع تعليقات نافعة مأخوذة من عدة شروح صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري نهض بمشروعه الشيخ محمد الآخوندي الناشر دار الكتب الاسلامية مرتضى آخوندي تهران بازار سلطاني .
محاسن التأويل ،محمد جمال الدين القاسمي ، ط٢، بيروت ، دار الفكر ، -١٩٧٨م .
منهج الشيخ الطوسي في تفسير القران ، د. كاصد ياسر الزيدي ، بغداد .

الهوامش

* ليس في تعريفي هذا استقصاء لما ورد في اللغة والاصطلاح فقد كتب فيها قديما وحديثا لذا ما ورد هنا كان على سبيل الاختصار .

[١] الصحاح : (فسر) .

[٢] تهذيب اللغة : ١٢ / ٤٠٦ (فسر) .

[٣] التحقيق في كلمات القرآن : ٩/ ٩٤ .

[٤] . المفردات: ٦٣٦.

[٥] . المفردات: ٤١٢.

[٦] . البرهان: ١٤٨/٢، وينظر: المفردات: ٦٣٦.

[٧] . العين: ٤٦/٣ (فسر).

[٨] . البرهان: ١٤٧/٢.

[٩] . ينظر: قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة: ١٦ــ ١٧.

[١٠] مجمع البيان : ١/ ١٣ .

[١١] البرهان : ٢/ ١٤٨ .

[١٢] البرهان : ١/ ١٣ .

[١٣] الجواهر الحسان في تفسير القرآن : ١/ ٤١ .

[١٤] مناهل العرفان في علوم القرآن : ٢/ ٤ .

[١٥] المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم ، محمد حسين الصغير : ١٨.

[١٦] الميزان : ١ / ٤ .

[١٧] البيان في تفسير القرآن : ٤٢٢ .

[١٨] التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب : ١ / ١٤ .

[١٩] المصدر نفسه

[٢٠] قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة : ٢٠ .

[٢١] – نهج البلاغة ،خ ١٣٣،ص ١٩٢(صبحي صالح)

[٢٢] . التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب ، محمد هادي معرفة :١/٢١-٢٢.

[٢٣] . الكافي – الشيخ الكليني – ج ١ – ص ٣٨

[٢٤] . التفسير والمفسرون :١/٢٤.

[٢٥] –راجع :تفسير العياشي ،ج١،ص٣١٩- ٣٢٠ .

[٢٦] – تفسير الطبري ، ج١ ،ص٢٧و ٣٠ .

[٢٧] –نهج البلاغة ،خ١٢٨، ص١٨٦ "صبحي صالح ".

[٢٨] . التفسير والمفسرون:١/٢٧-٢٨.

[٢٩] –التفسير والمفسرون الذهبي ،١/١٥٦ .

[٣٠] –الإتقان ،٤/١٨٠.

[٣١] –المصدر نفسه ،ص٢٠٩ .

[٣٢] .التفسير والمفسرون ، محمد هادي معرفة :١/٣٠-٣١.

[٣٣] منهج النقد في التفسير :١٠٦ .

[٣٤] التفسير والمفسرون ، معرفة : ٢/ ٣١ .

[٣٥] منهج النقد في التفسير : ٩٧ .

[٣٦] التفسير والمفسرون ، معرفة : ٢ / ٣٢- ٣٣ .

[٣٧] علوم الحديث ، ابن الصلاح :٢١٣ .

[٣٨] تدريب الراوي ، السيوطي :١٨٠

[٣٩] مباحث في تدوين السنة المطهرة ، أبو اليقظان عطية ،الجبوري ، ط١،بيروت ،دار الندوة الجديدة :١٠

[٤٠] الموضوعات ابن الجوزي : ٣٠

[٤١]. الموضوعات : ١٠

[٤٢] منهج النقد في التفسير :٦٣.

[٤٣] مباحث في تدوين السنة المطهرة :١٥

[٤٤] شرح نهج البلاغة ، عز الدين عبد الحميد ، ابن أبي الحديد ، ، ،ط٢،القاهرة ،دار إحياء الكتب العربية .١٣٨٥ه-١٩٦٥م، ١ / ٣٥٨ .

[٤٥] المصدر نفسه ، ج١١ ،ص٤٦ .

[٤٦] منهج النقد في التفسير : ٦٣

[٤٧] منهج النقد في التفسير :٦٣ -٧١ .

[٤٨] الموضوعات ، ابن الجوزي ، ١ /٣٣١، ١٩٢ .

[٤٩] المصدر نفسه : ٣/٧٣٩ .

[٥٠] وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أحمد بن محمد بن خلكان ، ، تحقيق د. احسان عباس 'ج١،بيروت ،دار صادر ،ص٧٧.

[٥١] الموضوعات : ٢ /٢٤ .

[٥٢] المصدر نفسه .

[٥٣] منهج النقد في التفسير : ٦٥ .

[٥٤] الموضوعات : ٦٥

[٥٥] الموضوعات : ١٦

[٥٦] تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ،٧٣/٥.

[٥٧] تدريب الراوي : ١٨٢.

[٥٨] منهج النقد في التفسير : ٦٦ .

[٥٩] الموضوعات ، ١٨.

[٦٠] منهج النقد في التفسير : ٦٧.

[٦١] المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، ،ط٢، القاهرة ،مجمع اللغة ،١٣٩٢ ه –١٩٧٢م ،مادة الزندقة .

[٦٢] الموضوعات : ،١٥/١ .

[٦٣] الموضوعات : ١٥.

[٦٤] الموضوعات: ١٥.

[٦٥] ميزان الإعتدال ، الذهبي ،: ٢/ ٢٥٥.

[٦٦] عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى ، مرتضى العسكري : ١ / ٧٤ – ٧٥ .

[٦٧] اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ، أبو جعفر محمد بن الحسن ،الطوسي : ٤٩١/٢، ط١،مشهد ، جامعة مشهد .

[٦٨] منهج النقد في التفسير : ٦٩ .

[٦٩] تاريخ آداب العرب ،مصطفى صادق الرفاعي ١/ ٣٨٠ ، بيروت ،دار الكتاب العربي ١٣٩٤ه–١٩٧٤م .

[٧٠] فجر الإسلام ، أحمد أمين :١٦١.

[٧١] فجر الاسلام :١٥٩.

[٧٢] التفسير والمفسرون ،الذهبي ٥٦/٢ .

[٧٣] تاريخ آداب العرب ، الرافعي ، ١/ ٣٨٣ .

[٧٤] منهج النقد في التفسير : ٧٠ .

[٧٥] الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ، أسد حيدر بيروت ،دار الكتاب العربي ،١٣٩٠هـ١/ ٢٦٥، .

[٧٦] الموضوعات : ٢٠ .

[٧٧] الموضوعات :٢١.

[٧٨] منهج النقد في التفسير : ٧١ .

[٧٩] المصدر السابق : ٢١ .

[٨٠] على سبيل المثال ،انظر :برهان الدين الحلبي ،الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث ،تحقيق :صبحي السامرائي ،ط١،بيروت ،عالم الكتب ،١٤٠٧ه –١٩٨٧م ،وفيه أورد أسماء ثمانمائة وثمانين شخصاً رموا بالوضع .عن منهج النقد في التفسير : ٧١ .

[٨١]الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة محمد بن علي الشوكاني،تحقيق محمد عبد الرحمن عوض ،ط١،بيروت ،دار الكتاب العربي ،١٤٠٦ه -١٩٨٦م.

[٨٢] ميزان الاعتدال ،٧١/٤، رقم ٨٣٤٤ ، تاريخ بغداد ،٣٩٧/٣.

[٨٣] التفسير والمفسرون ، معرفة : ٢/ ٣٣ .

[٨٤] شرح النهج لابن ابي الحديد ،٤/ ٦٣ .

[٨٥] – التفسير والمفسرون ،١/ ١٥٨

[٨٦] – التفسير والمفسرون ، معرفة ، ١٥٨/١

[٨٧] – المصدر نفسه .

[٨٨] الإسرائيليات في التفسير والحديث ، محمد حسين الذهبي ، ،ط٢، دار الأيمان ،١٤٠٥ هـ-١٩٨٥م : ٢١ .

[٨٩] التفسير والمفسرون ،الذهبي ، ١/ ٦٤

[٩٠] المصدر نفسه : ٦٥ .

[٩١] محاسن التأويل ،محمد جمال الدين القاسمي: ١/ ٤١ ط٢، بيروت ، دار الفكر ،٣٩٨ هـ -١٩٧٨م .

[٩٢] الإتقان : السيوطي ، ٢/ ١٢٣٣.

١ الاسرائيليات : ١١٩ .

٢ المصدر نفسه .

[٩٥] المصدر نفسه.

١ المصدر السابق .

٢ المصدر السابق .

[٩٨] منهج النقد في التفسير : ١٠٧

[٩٩] المصدر نفسه .

[١٠٠] البرهان ٢/ ١٦١ .

[١٠١] منهج النقد : ١٠٨ .

[١٠٢] الامالي : ٦ ، طبعة النجف .

[١٠٣] التوحيد للصدوق : ٢٦٤ ، طبعة بيروت .

[١٠٤] عيون أخبار الرضا : ١/ ١٥٣ . وانظر : بحار الأنوار ، كتاب القرآن باب ١٠ ج ٨٩ / ١٠٧ ١١٢ .

[١٠٥] التفسير والمفسرون ، معرفة : ١/ ٦٧

[١٠٦] المصدر نفسه ، مقدمة جامع التفاسير ، الراغب : ٩٣ .

[١٠٧] . من لا يحضره الفقيه – الشيخ الصدوق – ج ١ – ص ٢١١ – ٢١٤

[١٠٨] . من لا يحضره الفقيه – الشيخ الصدوق – ج ٢ – ص ٧٣ – ٧٤

[١٠٩] . الاستبصار – الشيخ الطوسي – ج ١ – ص ٣٢٤.